آيات .. وعجائب

«... انطلق إليه ، وسأله أن ينزل
ويشفي ابنه - لأنه كان مشرفاً على
الموت ... فقال له يسوع : لا تؤمنون
إن لم تروا آيات وعجائب! »

(يو ٤ : ٤٧ - ٤٨)

تقترن سيرة المسيح بكثير من المعجزات ... في حياة أمّة أوّلاً ، وفي قصة مولده بعد ذلك ، ثم في واقعة رفعه أخيراً .. وأيامه التي عاشها في دنيا الناس - حافلة بالمعجزات !!

لكن الخوارق في النبوات تأتي لتكشف صدق النبي في موضوع رسالته ، لا لتكون هي الموضوع أولاً وأخيراً .

والخوارق دورها تاريخي ، ينتهي أثرها في جيل واحد - أو لعلّه يستمر خلال عدد قليل قليلاً من الأجيال ، أما الرسالة في جوهرها ومضمونها فخالدة على تعاقب الأجيال ، شاملة الناس أجمعين .

والمسيح نفسه - كما تحدّثت الأناجيل المتداولة - كان يضيق بطلب الآيات والخوارق والمعجزات ... فحسبه آيات الوحي المقدس لمن لهم عقول يتوخّون إعمالها ، وما أقلّ هؤلاء بجانب العوام والطغام الذين يريدون ما يشده الحسّ ويأخذ بالأبصار !!

«حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلّم ، نريد أن نرى منك آية ! فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي ، لأنه كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ » (مت ١٢ : ٣٨-٤٠ ، لو ١١ : ٢٩-٣٠) .

وظاهرٌ أنّ المسيح يشير إلى رفعه ، وهذا أمر لن يكون إلا بعد انتهاء حياة الرسول والرسالة ، ومعنى ذلك صرف الأنظار عن المعجزات والخوارق بلباقة - طوال حياته على الأقل !

وقد ورد هذا في صورة أصرح : «فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يُجَرِّبُوه ، فتنهّد بروحه وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم : لن يعطى هذا الجيل آية »، « .. هذا إذ سمع أنّ يسوع جاء من اليهودية إلى الجليل - انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه لأنّه كان مشرفاً على الموت ، فقال له يسوع : لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب! » (مر ٨ : ١١-١٢ ، يو ٤ : ٤٧ - ٤٨) .

فالأدلة متوافرة متواترة على زهد المسيح في هذا الأسلوب ، ومن واجب دعاة الأديان أن يتنبّهوا دائماً لهذه الحقيقة الهامة ، وأن يُوَجِّهُوا اهتمامهم إلى صلاحية الرسالة موضوعيًّا في ذاتها واستحقاقها للبقاء .

«وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليُجَرِّبُوه فسألوه أن يريهم آية من السماء ، فأجاب وقال لهم : إذا كان المساء قلتم : صحو ، لأن السماء محمّرة ، وفي الصباح اليوم شتاء ، لأن السماء محمرّة بعبوسة ! يا مراءون ، تعرفون أن تُميِّزوا وجه السماء ، وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون! »، «إذا رأيتم السحاب تطلع من المغارب تقولون : إنّه يأتي مطر - فيكون هكذا . وإذا رأيتم ريح الجنوب تهب تقولون إنّه سيكون حر - فيكون . يا مراءون تعرفون أن تُميِّزوا وجه الأرض والسماء ، وأما هذا الزمان فكيف لا تُميِّزُونه؟؟! » (مت ١٦ : ١-٣ ، لو ١٢ : ٥٤-٥٦).

ومع رسول الإسلام تكرّر المشهد نفسه : ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء : ٩٠ - ٩٣] ، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد : ٧] ، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ

مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [العنكبوت : ٥٠ ، ٥١] ، ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام : ١٠٩] .

ومع ذلك ، فقد كانت هناك معجزات ، وروايات المعجزات كثيرة في الأناجيل ...

غير أنّ المسيح كان حريصاً ألا تستعلن هذه المعجزات أو تشيع ، وكان يوصي أصحابها بالكتمان : «وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً : يا سيد إن أردت تقدر أن تطهّرني ؟ فمدّ يسوع يده ولمسه قائلاً : أريد فاطهر - وللوقت طهر برصه ! فقال له يسوع : **انظر أن لا تقول لأحد** ، بل اذهب أو نفسك للكاهن وقدّم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم »، «وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان من هناك يصرخان ... فانفتحت أعينهما ! فانتهزها يسوع قائلاً : **انظرا لا يعلم أحد** - ولكنهما خرجا وأشاعاه في تلك الأرض كلها »، «وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً **وأوصاهم أن لايظهروه**»، «ثم وضع يديه على عينيه وجعله يتطلّع ، فعاد صحيحاً وأبصر كلّ إنسان جليًّا . فأرسله إلى بيته قائلاً : **لا تدخل القرية ، ولا تقل لأحد في القرية**.... » (مت : ٨ : ٢-٤ ، ٩ : ٢٧-٣١ ، مر ١ : ٤٠-٤٥ ، ٣ : ١٢ ، ٨ : ٢٢-٢٦ ، لو ٥ : ١٢-١٥) .

ترى هل كان المسيح يقصد ألا تنتشر معجزاته قبل أوانِ رسمه و حدَّه لنفسه ، **حتى لا يُسارع** اليهود لاقتلاع النبت الجديد قبل أن يستوي على ساقه !! أم تراه أراد ألا تكون هذه الخوارق مشغلة للنفوس عن جوهر الدين والرسالة ؟؟ إنّ المسيح نفسه قد أوصى تلاميذه حين شهدوا إحدى معجزاته بأن يكتموها حتى قيامته : «وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيّرة ظلّلتهم ، و صوت من السحابة قائلاً : هذا

هو ابني الحبيب الذي به سررت ، له اسمعوا ... ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدًّا ، فجاء يسوع ولمسهم وقال : قوموا ولا تخافوا - فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده . وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع : لا تُعلوا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات» (مت ١٧ : ٥-٩ ، مر ٩ : ٧-٩ ، لو ٩ : ٣٤-٣٦)!

وهذا يرجِّح القول بأنّ المسيح كان حريصاً على ألا تكون هذه الخوارق محور اهتمام الناس ... والقول بأنه أخّر إذاعتها إلى حين ، يحمل هو نفسه دلالة عدم التعويل عليها ، إذ لو كانت هي جوهر الرسالة لما تأخَّر قط في إذاعتها ، لأنّ مرور الوقت ينال من تأثيرها وآثارها ، ويفقدها روعة التحدّي - إذ تفتر حرارتها وتصير مجرد حكاية طليّة عن رسول ذهب من الوجود ، أو تكون دعوى بغير شهود !!

والمسيح حريص في صدد هذه المعجزات ، على أن يبيّن دور الإيمان فيها ، ليخرج الناس منها بثمرة في قلوبهم ، ولاينحصر الأثر في مجرد النجاة من مرض وشرّ ..

«ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء إليه قائد مئة يطلب إليه ويقول : يا سيدي غلامي مطروح في البيت مفلوجاً متعذّباً جدًّا ، فقال له يسوع : أنا آتي وأشفيه .. فأجاب قائد المائة وقال : يا سيد ، لست مستحقًّا أن تدخل تحت سقفي !! لكن قل كلمةً فقط فيبرأ غلامي ! لأنّي أنا أيضاً إنسان تحت سلطان ، لي جند تحت يدي ، أقول لهذا اذهب فيذهب والآخر إيت فيأتي ولعبدي افعل هذا فيفعل ..

فلما سمع يسوع تعجب ؛ وقال للذين يتبعون : الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا ... اذهب **وكما آمنت ليكن لك** - فبرأ غلامه في تلك

الساعة » ، «وإذا امرأة نازفة دم منذ اثنتي عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومسَّت هُدْب ثوبه ، لأنها قالت في نفسها : إن مسست ثوبه فقط شفيت !

فالتفت يسوع وأبصرها فقال : ثقي يا ابنة ، **إيمانك قد شفاك** - فشفيت المرأة من تلك الساعة »، «وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان من هناك فيصرخان .. فقال لهما يسوع : أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا ؟ قال له : نعم يا سيد . حينئذ لمس أعينهما قائلاً : **بحسب إيمانكما ليكن لكما** ، فانفتحت أعينهما » (مت ٨: ٥-١٣ ، ٩ : ٢٠-٢٢ ، ٩ : ٢٧-٣١ ، مر ٥ : ٢٥-٣٤ ، ١٠ : ٤٦-٥٢ ، لو ٧ : ١-١٠ ، لو ٨ : ٤٣-٤٨ ، ١٨ : ٣٥-٤٣) .

حرص المسيح على تأكيد هذه الحقيقة ، حتى تتفتّح القلوب للإيمان ذاته :

«ولما جاءوا إلى الجمع تقدّم إليه رجل جاثياً له وقائلاً : يا سيد ارحم ابني فإنه يصرع ويتألَّم شديداً ، ويقع كثيراً في النار وكثيراً في الماء ، وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه!! فأجاب يسوع وقال : أيها الجيل غير المؤمن الملتوي إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟ قدّموه إليَّ ههنا - فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة ....

ثم تقدّم التلاميذ إلى يسوع - على انفراد - وقالوا : لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟؟ فقال لهم يسوع : **لعدم إيمانكم ، فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم** ، وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم ».

«... وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع ، فنظر شجرتين على الطريق ، وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد ، فيبست التينة في الحال ! فلما رأى التلاميذ ذلك تعجَّبوا قائلين : كيف يبست التينة في الحال ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول **لكم إن كان لكم**

إيمان ولا تشُكُّون فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون ، وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه ». «لذلك أقول لكم : كلّ ما تطلبونه حينما تُصلّون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم ، ومتى وقفتم تُصلّون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم »، «وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر ، فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطَّربوا قائلين : إنه خيال ، ومن الخوف صرخوا ! فللوقت كلَّمهم يسوع قائلاً : تشجعوا . أنا هو لا تخافوا ! فأجابه بطرس وقال : يا سيد إن كنت أنت هو ، فمرني أن آتي إليك على الماء ، فقال : تعال ! .. فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع ، ولكن لـمَّا رأى الريح شديدة خاف ، وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً : يا رب نجّني ! ففي الحال مدَّ يسوع يده وأمسك به وقال له : **يا قليل الإيمان لماذا شككت** »؟ (مت ١٤ : ٢٥-٣١ ، ١٧ : ١٤-٢١ ، ٢١ : ١٨-٢٣ ، مر ٦ : ٤٥-٥٣ ، مر ١١ : ٢٠-٢٦ ، لو ٩: ٢٧-٤٣ ؛ يو ٦ : ١٦-٢١) .

وحول هذا المعنى أوصى نبي الإسلام أيضاً : «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أنَّ الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه »[1] .

والمسيح حريص على أن تكون هذه القوة الخارقة رحمة لا نقمة ..

«فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا : يا ربّ أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتُفنيهم كما فعل إيليا أيضاً ؟؟ فالتفت وانتهرهما وقال : لستما تعلمان من أي روح أنتما ، لأنّ ابن الإنسان لم يأت ليُهلك أنفس الناس بل ليخلّص ، فمضوا إلى قرية أخرى » (لو ٩ : ٥٤ - ٥٦)

---

١ - رواه الترمذي والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال : ٣٢ ، ٣٣] .

لقد توجَّه رسول الإسلام إلى ثقيف بالطائف فلم تحقق ثقيف الرجاء :

«بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمونه بالحجارة ... فدعا الله : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين - أنت ربّ المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ... وأتى جبريل برسالة من الله جلَّ ذكره وقال : إنّ الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك ، فقال عليه السلام : اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون »!! [1]

إن ما أوتي المسيح من قوى خارقة سلاح خطير ، ينبغي أن يُستخدم باتزان لا بحمق أو غباء : «ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدّسة وأوقفه إلى جناح الهيكل ، وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنّه مكتوب : أنّه يوصي ملائكته بك ، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تُصدَم بحجر رجلك! قال له يسوع : مكتوب أيضاً : لا تجرّب الرّب إلهك!! ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جدًّا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها ، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي ! حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان ، لأنّه مكتوب : للرّب إلهك تسجد ، وإيّاه وحده تعبد» (مت ٤ : ٥-١٠ ، لو ٤ : ٥-١٣) .

والمسيح ينسب دائماً هذه الخوارق إلى الله : «وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته ... أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ولا أبواه ، **ولكن لتظهر أعمال الله فيه !**

---

١ - محمد الخضري : نور اليقين ص ٦٦، ٦٧.

ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني - ما دام نهار ، يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل . ما دمت في العالم فأنا نور العالم »، «فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ، ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي ، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ، ولكن **لأجل هذا الجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنَّك أرسلتني** . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلَّم خارجاً - فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات ...!! »، «فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً **إلا ما ينظر الآب يعمل** ، لأن مهما عمل ذاك فها يعمله الابن كذلك ، لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله ، وسيريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجبّوا أنتم » (يو ٩ : ١-٥ ، ١١ : ٤١-٤٤ ، ٥ : ١٩-٢٠) ...

وهكذا لا تذهب هذه الخوارق بددا ، ولا تكون مجرّد غرائب ونوادر وأقاصيص : «ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدرسوا الحيّات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضرّكم شيء ، ولكن **لا تفرحوا بهذا** أنَّ الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرّي أنّ أسماءكم كُتِبَت في السموات » (لو ١٠ : ١٩-٢٠) .

دأب المسيح إذن على أن يربط المعجزات دائماً بالإيمان ، ولا يتركها تمرَّ دون انتفاع من الأثر الذي تتركه في النفوس بعرض الدعوة وبيان الرسالة ، وتمجيد الله الذي أجرى هذه الآيات على يدي رسوله : «وفيما هو يتكلّم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجميع وقالت له : طوبى للبطن الذي حملك ، والثديين اللذين رضعتها! أما هو فقال : بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » (لو ١١ : ٢٧-٢٨) .

«وإذا واحد تقدّم وقال له : أيها المعلم الصالح ، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد - هو الله ،

ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » (مت ١٩ : ١٦-١٧ ، مر ١٠ : ١٧-١٩ ، لو ١٨ : ١٨-٢٠) .

إنَّ معجزة المسيح الكبرى أنّهُ ولِدَ بنفخة من روح الله في مريم ... وهو يدعو الناس جميعاً لأن (يولدوا من فوق) ، و (ويولدوا من الروح) ، وبهذا يلقّن المعلّم درسه الباقي بعد ذهاب المعجزات ...

«كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود ، هذا جاء إلى يسوع ليلاً وقال له : يا معلّم ، نعلم أنك قد أتيت من الله معلّما ، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه . أجاب يسوع وقال له : الحق الحق أقول لك : **إن كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله** . قال له نيقوديموس : كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ ؟ ألعلّه يقدر أن يدخل في بطن أمه ثانية ويولد ؟؟ أجاب يسوع : الحق الحق أقول لك : إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله ! المولود من الجسد جسد ، **والمولود من الروح هو روح** ! لا تتعجّب أنّي قلت لك أن تولد من فوق ، الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا من أين تذهب ، هكذا كل من وُلِدَ من الروح ! أجاب نيقوديموس وقال له : كيف يمكن أن يكون هذا؟ أجاب يسوع وقال له : أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا ! الحق الحق أقول لك : إنّنا إنما نتكلّم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا ! إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون ، فكيف تؤمنون إن قلت لكم عن السمويات؟! » (يو ٣ : ١-١٢) .

ولست بصدد استقصاء روايات المعجزات في الأناجيل المتداولة ، فقد ورد منها فيما مضى - نماذج تصلح للتمثيل والتصوير ...

وقد أجمل القرآن ألوان المعجزات التي أجراها الله على يد المسيح : ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝﴾ [المائدة : ١١٠ ، ١١١] . والقرآن يعبّر بالإسلام عن دين الله الذي تعاقب على حمل رسالاته الأنبياء أجمعون : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ١١٢] .

«وكان يسوع يطوف كل الجليل : يعلّم في مجامعهم ويكرّز بشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب ، فذاع خبره في جميع سورية . فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين - فشفاهم »، «فأخرج الأرواح بكلمة ، وجميع المرضى شفاهم ، لكي يتم ما قيل بأشعياء النبي القائل : هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا »، «العمي يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصمّ يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون - وطوبى لمن لا يعثر فيّ » (مت ٤ : ٢٣-٢٤ ، ٨ : ١٦-١٧ ، ١١ : ٥-٦) .

وقد روت الأناجيل كثيراً من الروايات عن شفاء الأمراض ، أما معجزة إحياء الموتى فقد وردت على نطاق أضيق : «وفيما هو يكلّمهم بهذا ، إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً : إن ابنتي الآن ماتت ، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا ، فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه .. ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ، ونظر المزمّرين والجمع يضجون ! قال لهم : تنحُّوا ، فإنَّ الصبيّة لم تمت لكنها نائمة ، فضحكوا عليه! فلما أخرج الجمع ، دخل وأمسك بيدها - فقامت الصبية ، فخرج ذلك الخبر

إلى تلك الأرض كلها » ، «وبينما هو يتكلّم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين : ابنتك ماتت ، لماذا تتعب المعلّم بعد ؟ فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت ، فقال لرئيس المجمع لا تخف ، آمن فقط ! ولم يدع أحد يتبعه إلا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب ... ودخل حيث كانت الصبيّة مضطَجِعَة ، وأمسك بيد الصبيّة ، وقال لها : طليثا قومي - الذي تفسيره يا صبيّة لك أقول قومي ، وللوقت قامت الصبية ومشت ... فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك ، وقال : أن تعطى لتأكل» (مت ٩: ١٨-٢٦ ، مر ٥ : ٢١-٤٣ ، لو ٨ : ٤١-٥٦) !!

وهذه رواية أقوى وأوضح : «وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة تدعي نايين ، وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير . فلما اقترب إلى باب المدينة - إذا ميت محمول : ابن وحيد لأمه ، و هي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة ، فلما رآها الرب تحنّن عليها وقال لها : لا تبكي ، ثم تقدّم ولمس النعش فوقف الحاملون ، فقال : أيها الشاب لك أقول : قُم - فجلس الميّت وابتدأ يتكلّم فدفعه إلى أمه !! فأخذ الجميع خوف ، ومجّدوا الله قائلين : قد قام فينا نبيٌّ عظيم ، وافتقد الله شعبه. وخرج هذا الخبر عنه في كلِّ اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة » (لو ٧ : ١١-١٧) !!

والقصة المشهورة الذائعة - هي قصة (لعازر) ...

«وكان إنسان مريضاً - وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها ، وكانت مريم التي كانت لعازر أخوها مريضاً هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ، فأرسلت الأختان إليه قائلتين : يا سيد ، هو ذا الذي تحبّه مريض! .. فلما سمع يسوع قال : هذا المرض ليس للموت - بل لأجل مجد الله ، ليتمجّد ابن الله به ! وكان يسوع يحب مرثا أختها ولعازر ، فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين ، ثم بعد ذلك قال لتلاميذه : لنذهب إلى اليهودية أيضاً . قال له التلاميذ : يا معلّم ، الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك ، وتذهب أيضاً إلى هناك .. قال لهم : لعازر حبيبُنا قد نام ، لكني أذهب لأوقظه ! فقال

تلاميذه يا سيد : إن كان قد نام فهو يشفى - وكان يسوع يقول عن موته ... فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر ، وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة ، وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليُعزّوها عن أخيها . فلما سمعت مرثا أنَّ يسوع آتٍ لاقته .. فقالت مرثا ليسوع : يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي ، لكنّي الآن أعلم أنَّ كلَّ ما تطلب من الله يعطيك الله إياه! قال لها يسوع : سيقوم أخوك ! قالت له مرثا : أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير . قال لها يسوع : أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بي ولو مات فسيحيا .. ولما قالت هذا مضت ، ودعت مريم أختها سرًّا قائلة : المعلّم قد حضر وهو يدعوك ... ثم إنَّ اليهود الذين كانوا معها في البيت يُعزّونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت ، تبعوها قائلين : إنها تذهب إلى القبر تبكي هناك ...

فلما رآها يسوع تبكي ، واليهود الذين جاءوا معها يبكون - انزعج بالروح واضطرب ، وقال : أين وضعتموه ؟ قالوا له : يا سيد ، تعال وانظره ! بكى يسوع ، فقال اليهود : انظروا كيف كان يحبّه ؟! وقال بعض منهم : ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى ، أن يجعل هذا أيضاً لا يموت ؟؟؟ فانزعج يسوع أيضاً في نفسه وجاء إلى القبر ...

وكان مغارة - وقد وضع عليه حجر . فقال يسوع : ارفعوا الحجر ، قالت له مرثا أخت الميت : يا سيّد ، قد أنتن لأن له أربعة أيام ! قال لها يسوع : ألم أقل لك : إن آمنت سترين مجد الله !

فرفعوا الحجر حيث كان موضوعاً ، ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنّك سمعت لي - وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي - ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنّك أرسلتني . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلّم خارجاً ...

فخرج الميّت !! ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل ! فقال لهم يسوع : حلّوه ، ودعوه يذهب !!!»

وكان في هذا فصل الخطاب ...

«فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به ، وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع ! فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً ، وقالوا : ماذا نصنع ؟ فإنَّ هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به .. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » (يو : ١١) .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت : ٢٤].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر : ٢٥ ، ٢٦] .

والاتفاق كامل بين نصوص القرآن وروايات الأناجيل المتداولة عن شفاء المرضى وإحياء الموتى ...

لكن القرآن يروي في آخر سورة المائدة قصة استمدت منها السورة اسمها :

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة : ١١٢ ـ ١١٥] .

وفي الأناجيل تكرَّرت روايات القصة التالية :

«وأما يسوع فدعا تلاميذه ، وقال : إني أشفق على الجمع لأنَّ لهم ثلاثة أيام يمكثون معي ، وليس لهم ما يأكلون ، ولست أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق ! فقال له تلاميذه : من أين لنا في البريّة خبز بهذا المقدار حتى يُشبع جمعاً هذا عدده؟؟ فقال لهم يسوع : كم عندكم من الخبز ؟ فقالوا : سبعة وقليل من السمك .. فأمر الجموع أن يتكئوا على الأرض ، وأخذ السبع خبزات والسمك ، وشكر وكسر وأعطى تلاميذه ، والتلاميذ أعطوا الجمع . فأكل الجميع وشبعوا ، ثم رفعوا ما فضل من الكِسَر : سبعة سلال مملوءة ، والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد !! ثم صرف الجموع ... وصعد إلى السفينة ، وجاء إلى تخوم مجدل » ، «.... فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم ، وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده » (مت ١٥ : ٣٢-٣٩، مر٦ : ٣٠-٤٤، لو٩ : ١٠-١٧، يو٦ : ١-١٥) .

فهل تعرض آيات المائدة في القرآن وروايات الأناجيل لواقعة واحدة ؟؟ من مفسّري القرآن من قالوا : إنَّ المائدة لم تنزل - إذ لم ينص القرآن على نزولها بالفعل ، وإنَّ الطالبين للمائدة قد عدلوا عن طلبها ، إذ سمعوا الله ينذر بهذا العذاب المنقطع النظير لمن يكفر بعد نزولها : «... عن مجاهد قال : هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء .. وعنه : مائدة عليها طعام أبوْهَا حين عُرِضَ عليهم العذاب إن كفروا ، فأَبَوْا أن تنزل عليهم .. وعن الحسن : لما قيل لهم (عن العذاب) قالوا : لا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل . وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن ، وقد يتقوّى ذلك بأنّ خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفّر الدواعي على نقله ، وكان يكون موجوداً في كتابهم متواتراً ولا أقلّ من الآحاد»[1] .

١- تفسير ابن كثير ج٢ ص١١٩.

وقولٌ : إنَّها نزلت .. والشيخ عبد الوهاب النجار يتأوَّلها أنها هي نفسها قصة تكثير الطعام والبركة فيه ، وقد ذكر رواية الأناجيل وعقّب بقوله : «إنَّ هذه المسألة هي مسألة المائدة السماوية ، ومعنى كونها سماوية أنَّ الله تعالى بارك في الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة ، وقد حكيت في القرآن الكريم .. وأنا أكرّر القول : إنَّ مسألة المائدة هي مسألة الأرغفة الخمسة والسمكتين ، والمراد بإنزالها عليهم أن يرزقهم الله الطعام الكثير من حيث لايحتسبون ».

والحقَّ أنَّ قضية المائدة هذه أثارت أقوالاً كثيرة - جمع ابن كثير بعضها في أربع صفحات من القطع الكبير جدًّا ، بالخط الدقيق أيضاً ! .. كذا أثار تأويل الشيخ النجار ما أثار !

والعبرة كما يبدو لي من قراءة الآراء المتخالفة ، هي بما تحتمله النصوص المرويّة في القرآن والأناجيل المتداولة من دلالات لغوية لا أكثر .. فالمسألة مسألة أدب وذوق لغوي ، ولا تتعلّق بالعقائد ، أو بحجّية الأناجيل المتداولة عند أهل القرآن - خلافاً لمن حاول أن يسوقها هذا المساق من مخالفي الشيخ النجّار ، الناقدين لكتابه [1] .

وآيات القرآن قد سكتت عن نزول المائدة فعلاً ، ومن الجائز أنَّ القوم قد انصرفوا عنها بعد النذير ، خاصة وأنّ طالبيها هم حواريو المسيح الذين يؤمنون بالله ويخشون عذاب الآخرة .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس : قالت قريش للنبي ادع لنا ربّك أن يجعل (الصفا) ذهباً ونؤمن بك ! قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم ... فدعا ، فأتى جبريل وقال : إنَّ ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً ،

---

١ - عبدالوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤١٢ ، ٤١٩ - والهوامش.

فمن كفر منهم بعد ذلك عذَّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة ... قال : بل باب التوبة والرحمة !! [1] .

وبركة الطعام فيها روايات كثيرة في تاريخ النبوَّات ...

في غزوة الأحزاب : «كان المسلمون قد أصابهم مجاعة شديدة ، وكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه ... فأرسلت عمرة ابنة رواحة ابنتها بجفنة تمر عجوة في ثوبها إلى زوجها بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري وإلى أخيها عبد الله بن رواحة ، فوجدت الرسول جالساً في أصحابه ... فأخذه في كفيه ، ونثره على ثوب بُسِطَ له ، وقال لجعال بن سراقة : اصرخ : يا أهل الخندق ، هلمَّ إلى الغداء ! فاجتمعوا عليه يأكلون منه ، حتى صدر أهل الخندق -وإنّه ليفيض من أطراف الثوب !! وأرسلت أم معتب الأشهلية بقعبة فيها حيس - التمر والسمن والدقيق والفتيت مخلوطاً - إلى الرسول ... فنادى مناديه : هلمَّ إلى عشائه ! فأكل أهل الخندق حتى نهلوا - وهي كما هي »!!

وتكرّر ذلك في الحديبية ، وفي غزوة تبوك : «أرسل الناس إرمالاً شديداً - أي نفد زادهم كأن لم يبق لهم من طعام إلا الرمل ! ... فنادى منادي الرسول : من كان عنده فضل زاد فليأت به ! وأمر بالأنطاع فبُسِطَت ، فجعل الرجل يأتي بالمُدّ الدقيق والسويق أو التمر ، أو القبضة من الدقيق السويق والتمر ، والكِسَر ، فيوضع كلّ صنف على حدة - وكلّ ذلك قليل . فكان جميع ما جاءوا به من الدقيق ، والسويق والتمر ثلاثة أفرق حزراً . ثم توضَّأ وصلى ركعتين ودعا الله ، ونادى مناديه : هلموا إلى الطعام ، خذوا منه حاجتكم ! فأقبل الناس ، فجعل كل من جاء بوعاء ملأه ، فقال بعضهم : لقد طرحت يومئذ كسرة من خبز وقبضة من تمر ، ولقد رأيت الأنطاع تفيض ، وجئت بجرابين فملأت أحدهما سويقاً والآخر خبزاً ،

---

١ - قال ابن كثير : ثم رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري.

وأخذت في ثوبي دقيقاً كفانا إلى المدينة . فجعل الناس يتزوَّدون حتى نهلوا عن آخرهم ، حتى كان آخر ذلك أن أخذت الأنطاع ونثر ما عليها !! ».

كذلك وردت رواية عن الماء أثناء الحديبية : «واشتكى الناس قلّة الماء ، فانتزع الرسول - سهماً من كنانته فأمر به فغرز في الثمد ، فجاشت لهم بالرواء حتى صدروا عنه بعطن - أي بركت الإبل حول الماء - وإنهم ليغترفون بآنيتهم جلوساً على شفير البئر »[1] .

هذا ولم أعثر في الأناجيل المتداولة على روايات تتعلّق بخلق الطير من الطين !

لم تكن آيات المسيح مقصورة على معجزاته الحاضرة ، بل هناك أيضاً تنبّؤاته المستقبلة ...

كان دائماً يعرف مصيره ، ويتحدّث عنه تارة بالتلميح وأخرى بالتصريح : « ... كما كان يونان في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال »، «وفيما هم يتردّدون في الجليل قال لهم يسوع : ابن الإنسان سوف يُسَلَّمُ إلى أيدي الناس ، فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم - فحزنوا جدًّا »، «ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه : تعلمون أنّه بعد يومين يكون الفصح ، وابن الإنسان يُسَلمُ ليصلب »، «وابتدأ يعلمهم أنّ ابن الإنسان ينبغي أن يتألّم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ، وبعد ثلاثة أيام يقوم ! وقال : القول علانية ، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره ، فالتفت وأبصر تلاميذه وانتهر بطرس قائلاً : اذهب عني يا شيطان - لأنك لاتهتم بما لله ، لكن بما للناس!! »، «وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ، ولم يُرِدْ أن يعلم أحد ! ... لأنه كان يعلّم تلاميذه ويقول

---

١ - المقريزي : إمتاع الأسماع - ص٢٣٥ ، ٢٨٤ ، ٣٠١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

لهم : إنَّ ابن الإنسان يُسلّم .. وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه » ، «وإذ كان الجميع يتعجبون من كل ما فعل يسوع قال لتلاميذه : ضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم ، إنَّ ابن الإنسان سوف يُسلم إلى أيدي الناس ، وأما هم فلم يفهموا هذا القول ، وكان مخفي منهم لكيلا يفهموه ... » ، «وأخذ الاثنى عشر وقال لهم : ها نحن صاعدون إلى أورشليم ، وسيتم كلَّ ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان ، لأنه يُسلّم إلى الأمم ويُستهزأ به ويُشتم ويُتفَلُ عليه ، ويجدونه ويقتلونه ، وفي اليوم الثالث يقوم - وأما هم فلم يفهموا ... »، «قال لهم يسوع أيضاً : أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم حيث أمضي أنا ، لاتقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود : : ألعلّه يقتل نفسه ... »، «من يتكلّم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس منه ظلم ... لماذا تطلبون أن تقتلوني ! أجاب الجمع وقالوا : بك شيطان ، من يطلب أن يقتلك؟ » ، «بعد قليل لاتبصرونني ، ثم بعد قليل ترونني - لأني ذاهب إلى الآب !! «مت ١٢ : ٤٥ ، ١٦ : ٢١-٢٣ ، ١٧ : ٢٢ ، ٢١ : ١ ، مر ٨ : ٣١-٣٣ ، ٩ : ٣٠-٣٢ ، ١٠ : ٣٢-٣٤ ، لو ٩ : ٩ : ٢١-٢٢ ، ٤٣-٤٥ ، ١١ : ٢٩-٣١ ، يو ٨ : ٢١-٢٢ ، ٧ : ١٨-٢٠ ، ١٦ : ١٦-٢٤ » .

إحساس صادق مُلِحٌّ بالمصير ...

ولا عجب فهو مصير الأنبياء والمرسلين .. وبهذا أخبر ورقة بن نوفل محمداً في أول الوحي : «ليتني فيها جذعاً إذا يخرجك قومك ، قال أو مخرجيّ هم ؟ قال : لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي »! ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

وللمسيح بعد ذلك نبوءات أخرى : «ثم خرج يسوع ومضى إلى الهيكل ، فتقدّم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل ، فقال لهم يسوع : أما تنتظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : إنّه لايترك هنا حجر على حجر لا يُنقض ...

وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدّم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا لا يضلّكم أحد ، فإنّ كثيرون سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ، ويضلّون كثيرين ..

وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب ، انظروا - لا ترتاعوا ، لأنّه لابدّ أن تكون هذه كلها !! ولكن ليس المنتهى بعد ، لأنّه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن .. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع..

حينئذ يُسلمونكم إلى ضيق ، ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي ، وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ، ويبغضون بعضهم بعضاً ، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلّون كثيرين ، ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين ! ولكن الذي يصير إلى المنتهى فهذا يخلص ، ويكرّز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتي المنتهى »...

حروب ، واضطهاد ، ثم انتصار في النهاية ..

إنه خط سير البشرية ، وتاريخ الدعوات والمبادئ ...

«فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدّس ، ليفهم القارئ !

فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال ، والذي في السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً ، والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه ، وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام !! وصلّوا ، لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا سبت ، لأنّه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن - ولن يكون !! ولو لم تقصُر تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام ... حينئذ إن قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدّقوا - لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يُضِلُّوا لو أمكن المختارين أيضاً !

ها أنا قد سبقت وأخبرتكم ، فإن قالوا لكم : ها هو في البرية ، فلا تخرجوا ! ها هو في المخادع ، فلا تصدّقوا ... لأنه كما أنّ البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب ، هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان !

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطي ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموات تتزعزع .. الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله ! السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامي لا يزول . **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد - ولا ملائكة السموات ، إلا أبي وحده ...** » (مت ٢٤ : ١-٤١ ، مر ١٣ : ١-٣٢ ، لو ٢١ : ٥-٣٤ ، ١٩ : ٤٣-٤٤) .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝﴾ [الحج : ١ ، ٢] .

و (النبوءات) و (علامات الساعة) و (آخر الزمان) - تجد حديثها في كل الأديان ..

وفي القرآن نبوءات عن أحداث مستقبلة تقع للروم ، ولبني إسرائيل : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم : ٢ - ٤] ...

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ [الإسراء : ٤ - ٨] .

كذلك في القرآن تبشير بانتشار الإسلام في العالمين : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح : ٢٨] .

أما الساعة : فالأديان لا تُحدّد موعدها ، لتفسح للناس حبل الأمل والعمل : ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝﴾ [الأعراف : ١٨٧ ، ١٨٨] ، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ۝﴾ [النازعات : ٤٢ ، ٤٦] . ﴿يَسۡـَٔلُكَ

ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب : ٦٣] .

****

ومن أهم نبوءات المسيح ، مسألة مجيئه ثانية ...

«فإنّ ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كلّ واحد حسب عمله . الحق أقول لكم : إنّ من القيام ههنا قوماً لايذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته »! «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها . فمن شجرة التين تعلموا المثل : متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أنّ الصيف قرب - هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب ! الحق أقول لكم : لايمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول . وأما ذلك اليوم وتلك الساعة **فلا يعلم بهما أحد - ولا ملائكة السموات ، إلا أبي وحده** . وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان ، لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوّجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا ، حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع - كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان ! حينئذ يكون اثنان في الحقل : يؤخذ الواحد ويترك الآخر ، اثنتان تطحنان على الرحى : تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى »، «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه - فحينئذ يجلس على كرسي مجده ، ويجتمع أمامه

جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ... » ، «انظروا ، اسهروا وصلّوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت . كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ، ولكل واحد عمله ، وأوصى البواب أن يسهر ..! اسهروا إذن ، لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت : أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحاً ، لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياماً »، «فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة - فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ، لأنه كالفخّ يأتي على جميع الجالسين على وجه الأرض ! اسهروا إذن وتضرّعوا في كل حين ، لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون ، وتقفوا قدام الإنسان » (مت ١٦ : ٢٧-٢٨ ، ٢٤ : ٣٠-٥١ ، ٢٥ : ٣١-٤٦ ، مر ٨ : ٣٨-٣٩ ، ١٣ : ٢٦-٣٧ ، لو ٩ : ٣٦-٣٧ ، ٢١ : ٢٧-٣٦) ...

ومجيء المسيح له ذكره أيضاً عند أهل القرآن :

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝﴾ [الزخرف : ٥٧ - ٦١] . فسّر البعض الآية ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ : «أي ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلاً على علم الساعة ». وفسّرها آخرون : «قال هو خروج عيسى قبل يوم القيامة ». قال ابن كثير : «بل الصحيح أنه عائدٌ على عيسى فإنّ السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك : نزوله قبل يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ - أي قبل موت عيسى ، ويؤيّد هذا القراءة الأخرى : وإنّه لعَلَمٌ للساعة - أي أمارة ودليل - وهكذا روي

عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله أنَّه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة : إماماً عادلاً ، وحكماً مقسطاً »[1] .

ولم يقصر المسيح هذه القوة الخارقة على نفسه ...

«ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر ، وأعطاهم سلطان على أرواح نجسة حتى يخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف » ، «وأرسلهم ليكرّزوا بملكوت الله ، ويشفوا المرضى» لكنّه ذكَّرهم بأن الغاية هي نيل رضاء الله أولاً وأخيراً ، حتى لاتفتنهم القوة الجديدة : «ولكن لاتفرحوا بهذا : أنّ الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرّى أنّ أسماءكم كتبت في السموات» (مت ١٠ : ١ ، مر ٦ : ٧ ، لو ٩ : ١-٢ ، لو ١٠ : ٢٠) .

وانتشر التلاميذ الاثنى عشر - ومن بعدهم الأتباع السبعون - يبشّرون برسالة المسيح طوال وجوده معهم وبعد رفعه ، يُرون الناس من آيات الله كما يسمعونهم كلامه ووصاياه : «بل هذا ما قيل بيوئيل النبي : يقول الله - ويكون في الأيام الأخيرة أنّي أسكب من روحي على كل بشر ، فيتنبّأ بنوكم وبناتكم ، ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً ، وعلى عبيدي أيضاً وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبّأون ، وأعطي عجائب في السماء من فوق ، وآيات على الأرض من أسفل : دماً وناراً وبخار دخان»!! «وكانت عجائب وآيات كثيرة تجري على أيدي الرسل »! «وكان رجل أعرج من بطن

١- تفسير ابن كثير: ج٤ ص ١٣١-١٣٣ ، أحاديث حكم المسيح آخر الزمان: نص فنسنك في (مفتاح كنوز السنة) على وجودها في البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد والطيالسي ، أما ما يتعلق بخروجه بالشام وقتله الدجال فقد رواها أبو داود ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد.

أمّه يُحمل ، كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل ليسأل صدقة .. فقال بطرس : ليس لي فضة ولا ذهب ، ولكن الذي لي فإياه أعطيك : باسم يسوع المسيح قم وامش ، و أمسكه بيده اليمنى وأقامه - ففي الحال تشدّدت رجلاه وكعباه ، فوثب ووقف وصار يمشي ودخل معهما إلى الهيكل - وهو يمشي ويطفر ويسبّح الله !! وأبصره جميع الشعب ... فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب : أيها الرجال الإسرائيليون مابالكم تتعجبّون من هذا ، ولماذا تشخصون إلينا كأنّنا بقوّتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي ! إنّ إله إبراهيم وإسحق ويعقوب - إله آبائنا - مجّد فتاه يسوع ... وبالإيمان باسمه شدّد اسمه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه ، والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم » (أعمال : ٢ : ١٦-١٩ ، ٤٣ ، ٣ : ١-١٦) !!

وكان المسيح حكيماً إذ أوصى تلاميذه في آخر وصاياه ألا يرتبطوا بغير دعوتهم ورسالتهم ، وأن ينفضوا عنهم التطلّع إلى الغيب الذي حجبه الله عن العباد : «أما هم المجتمعون فسألوه قائلين : يا رب هل في هذا الوقت تردّ الملك إلى إسرائيل ؟ فقال لهم : ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه . لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم ، وتكونون لي شهوداً في أورشليم ، وفي كلّ اليهودية والسامرة - وإلى أقصى الأرض » (أعمال ١ : ٦-٨) .

ويقول الأب لويس برسوم الفرنسسكاني : «على أنّ نبوءات الكتاب تلك ، وإن تكلّمت حقًّا عن سيادة إسرائيل - فتقصد لا إسرائيل الجسدي ، بل إسرائيل الروحي - أي الكنيسة ، وعن سيادة روحية معنوية لا مادية . وأما بخصوص ارتداد إسرائيل الجسدي وانخراطه تحت لواء المسيح - فإنّه وإن كان أمراً مؤكداً ،

إلا أنّ زمن ذلك غير مفهوم ، كما هو غير معلوم كذلك زمن دخول شعوب الأرض قاطبة الكنيسة ملكوت المسيح »[1] .

وبعد ..

فأظن أنَّه قد استبانت وجهة المسيح وتلاميذه ..

لكم حرصوا ألا تحجب النبوءات والمعجزات وجه الرسالة الإنسانية الخالدة!!

فالدين لا يلجأ للمعجزة إلا كشاهد ودليل بين يدي النبي لدى الجماهير ، ثم تمضي المعجزات وتصير أحاديث ، ويبقى جوهر الرسالة وحده معروضاً على الأجيال .

ومن هنا يُفهم موقف الإسلام الذي مضى في هذا الاتجاه إلى آخر الشوط ، فكانت معجزته التي يتحدّى بها العالمين هي القرآن وكفى : ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص : ٤٩] ، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾ [الطور : ٣٤] ، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود : ١٣] ، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة : ٢٣ ، يونس : ٣٨] .

وكان القرآن واثقاً من نتيجة التحدّي : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨] ، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : ٤٢] ، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢] .

---

١ - لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج٢ ص ٣٠١.

«إنّ حكمة الله اقتضت ألا تكون الخوارق دعامة لنبوة محمد ، وبرهاناً على صحة رسالته ، وصدق دعوته التي جاءت بأسلوب جديد - أسلوب لفت النظر إلى الكون وما فيه من آيات باهرة ، والبرهنة بها على وجود الله وقدرته الشاملة ، ووحدته واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة والاتجاه .. ثم أسلوب مخاطبة العقل والقلب في الحثّ على الفضائل والتنفير من الرذائل ، وإثبات قدرة الله على الحياة الأخرى وفكرة الحق والعدل فيها ، وعلى اعتبار أنّ الدعوة التي تقوم على تقرير وجود الله واستحقاقه وحده للعبودية واتصافه بجميع صفات الكمال ، وعلى التزام الفضائل واجتناب الفواحش - هي في غنى عن معجزات خارقة للعادة لا تتصل بها بالذات .. وآيات الأنبياء السابقين الخارقات حادثات وقعت وانقضت ، ولكنّ أسلوب الدعوة القرآنية أسلوب خالد حيّ قوى في كلّ زمان ومكان ببراهينه ودلائله ، وحيويته ونفوذه ، وفصاحته ومعقوليته ومنطقة وسموه »[1] .

وليس هذا بغريب بعد أن أكّدت رسالة المسيح هذا الاتجاه ، وهي التي أحاطها سوار مزدانٌ بتهاويل المعجزات !!!!

---

١ - محمد عزة دروزة : سيرة الرسول ج١ ص ٢٢٦.